خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

تكلمت في الخطبة الماضية عن بعض جوانب سيرة النبي ﷺ واليوم سأتناول بعض جوانب السيرة انطلاقا من حبه ﷺ لله ﷻ وربما سبق بيان بعض الأمور سابقا بإيجاز وستجدون تفصيل بعضها اليوم.

إننا نلاحظ تجلي حب الله ﷻ أيضا لحضرته من منطلق هذا الجانب لسيرته ﷺ، فلم يكن وحده يحب الله ﷻ بل كان الله ﷻ هو الآخر يحبه ﷺ ثم أرشده الله بعد إظهار حبه ﷻ له ﷺ فازداد حبا أكثر وربَّى أمته ووجهها أيضا، وكيف بلَّغ الأمة التعليم الذي أنزله الله ﷻ عليه، ليهديهم، فمن أجل ذلك كان في قلبه حرقة، بل كان الله ﷻ قد أرشده بسبب هذه الحرقة نفسها لكي يوجه بدوره أمته، والأحرى أن نقول: من ناحية كان في قلبه حرقةٌ لحب الله ﷻ ومن ناحية أخرى كان ﷺ يكنّ في قلبه حرقةً لحب المخلوق، وأمنية عارمة لإنقاذهم من الهلاك. يقول الله ﷻ في سورة الضحى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي حين رآك مصابا بهمّ من أجل قومك علَّمك الطريق الصحيح لإصلاحهم، أما من منطلق حب الله فسيكون معنى الآية أننا وجدناك هائما في حبنا، فأرشدناك أخيرا على طريق وصلت إلينا بالسير عليه. فقد ورد في التفسير الكبير للرازي في تفسير آية ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ من سورة الضحى:

"الضلال بمعنى المحبة كما في قوله:﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي محبتك، ومعناه أنك محب فهديتُك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك."

فبهذا أعطاه الله الشهادة على أنه نشوان بحب الله ﷻ، ونجد إظهار هذا الحب في شتى الروايات، أي حب الله ﷻ له وحبه ﷺ لله ﷻ، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"لا يخفى على خبير بأساليب الكلام في القرآن الكريم أن الله الكريم والرحيم جلّ شأنه يستخدم في بعض الأحيان بحق عباده الخواص لفظا يبدو غير جميل في الظاهر ولكنه يكون محمودا جدا وفي محل المدح من حيث المعنى، (أي إذا قرأنا هذه الكلمة بمعناها المعروف فقد تبدو خاطئة، لأن الضال يعني المنحرف، لكن

ذلك ليس صوابا لأن الله ﷻ حين يستخدمها في سياق معين بحق عباده الخواص يتغير معناها) كما قال الله تعالى بحق نبيه الكريم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾. من المعلوم أن معنى الضال الشائع والمعروف والمتداول بين أهل اللغة هو المنحرف عن جادة الصواب. فمن هذا المنطلق يكون معنى الآية بأن الله وجدك (يا رسول الله) منحرفا عن الصراط المستقيم فهداك، (أي بحسب ما يفسرها العامة) مع أن النبي ﷺ لم ينحرف قط. ومَن اعتقد من المسلمين أن النبي ﷺ عمل في حياته عمل الضلال فهو كافر وملحد ويستحق أن ينفَّذ فيه حدٌّ شرعي. بل يجب أن يُستنبَط من الآية هنا معنى يناسب سياقها، وهو أن الله جلّ شأنه قال عن النبي ﷺ أولا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أي قد وجدك الله يتيما عديم الحيلة فآواك عنده ووجدك عاشقًا لوجهِه ﷻ فجذبك إليه، ووجدك درويشا فقيرا فأغناك".

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "لـمَّا كان النبي ﷺ يفوق جميعَ الأنبياء في سريرته الطيبة وانشراح الصدر والعصمة والحياء والصدق والصفاء والتوكل والوفاء والعشق الإلهي بجميع لوازمه، وكان أفضلَهم وأعلاهم وأكملهم وأرفعهم وأجلاهم وأصفاهم، لذا فإن الله جل شأنه قد عطَّره بعطر الكمالات الخاصة أكثر من الجميع. فالصدر والقلب الذي كان أكثر رحابةً من صدور وقلوب جميع الأولين والآخرين وأكثرها طهارة وبراءة ونورا وعشقا، قد عُدَّ وحده جديرا بأن ينزل عليه وحيٌ هو أقوى من كل وحي أُنزل على جميع الأولين والآخرين وأكمله وأرفعه وأتمُّه، وبذلك تمثَّلَ مرآةً نقية جدًّا وواسعة وعريضة لانعكاس الصفات الإلهية.

(ففي هذه المرآة أي في ذات النبي ﷺ وتعليمِه تتجلى لنا صفاتُ الله ﷻ وكلُّ جانب من ذاته ﷻ أيضا) فهذا هو السبب وراء تمتُّع القرآن الكريم بكمالات عالية، حيث تهيمن أشعتُه القوية وبريقُه الخلاب على لمعان جميع الصحف السابقة، وتجعلها كالمعدوم. (أي لا نجد قيمة لبريق جميع الصحف السابقة وكلامها أمام القرآن الكريم) فلا يقدر أي عقل على استخراج حقيقة لم تندرج فيه سلفا. (فكل شيء موجود في القرآن الكريم. وليس هناك أمر يمكن أن يُحدث إنسان في العالم ولم يذكره القرآن الكريم. وإنما هناك حاجة للفهم) لا يستطيع أي فكر تقديمَ برهان عقلي لم يسبق القرآن الكريم إلى تقديمه، ولا يقدر أيُّ خطاب على التأثير القوي في قلبٍ ما كما ظل يلقي (القرآن الكريم) تأثيرا قويا ومباركا في مئات الألوف من القلوب على الدوام. فلا شك أنه مرآة صافية ونقية لصفات الله الكمالية ﷻ حيث يتوفر فيه كل ما يحتاج إليه السالك للوصول إلى أعلى مدارج المعرفة".

فالتعليم الذي نزل عليه ﷺ كان هو الآخر طيبا يفوق كل التعاليم وأرفع من كل الصحف، أي أن تعليم القرآن كامل ومكتمل. لذلك كان وجوده المُجَسِّد لهذا التعليم أيضا كاملا ومكتملا، هذا ما أثبته عليه السلام.

فالكتاب الذي نزل عليه فإنما نزل لأنه ﷺ كان أكمل الناس، وهو وحده إنسان كامل لا يرتقي إلى مقامَه أحد غيرُه، غير أن الله ﷻ قد قال لنا إن لكم أسوةً فيه ﷺ فاسعوا لاتباعه، ولهذا السبب أعلن الله على لسانه ﷺ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فلا بد من تعلُّم أساليب حب الله ﷻ أيضا من أسوته ﷺ حصرا. نجد في الأحاديث روايات عدة لحبه ﷺ لله ﷻ حيث كان يسأل ربه ﷻ حبه فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ".

فهذا دعاء ينبغي أن يدعو به كل من يدّعي محبَّة النبي الكريم ﷺ وكل من يريد أن يكون من أحباء الله تعالى ويشمله فضلُه وينال بركاته.

وفي رواية عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ".

فالنبي ﷺ كان يدعو الله تعالى أن اجعلْ عطاياك التي أحبها وسيلةً لنيل المزيد من رغائبي المحبوبة عندك، واجعلني أزداد حبًّا لك من خلال هذه العطايا، أما الأشياء التي هي محبوبة عندي، أو الناس الذين هم محبوبون عندي، ولكنك أبعدتها أو أبعدتهم عني، فاجعلْها أو فاجعلْهم قوة أنال بها ما هو محبوب عندك، أي إذا أبعدتَ عني شيئا مما أحب لأنك لا تحبه لي، فلا تجعلني أُصاب باليأس بسبب حرماني منه، بل اجعلني أرضى برضاك، واجعلْ حرماني منه قوةً أنال بها ما هو محبوب عندك. هكذا كان النبي ﷺ يعبر عن حبه لله تعالى.

كذلك ورد أن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: "سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي".

هناك واقعة سردتها عَائِشَةُ رضي الله عنها عن حُبّ النبي ﷺ لله تعالى، قالت: كنت نائمة مع النبي ﷺ ذات ليلة، فَقَدْتُه مِن الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ في ظلمة الليل، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ (أي وهو ساجد) وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"، أي ليس بوسعي أن أثني عليك كما أثنيتَ على نفسك، إنما ثناؤك كما أثنيتَ عليك.

وأيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ، فنمتُ، فانسلّ من عندي بهدوء، فظننتُ أنما انسلّ إلى بعض نسائه، فخرجتُ غَيْرَى (أي غيرةً مني)، فإذا أنا به ساجد كالثوب الطريح على الأرض، فسمعتُه يقول: «سجد لك سَوادي وخيالي، وآمنَ بك فؤادي، رَبِّ هذه يدي وما جنيتُ على

نفسي، (كان النبي ﷺ إنسانا كاملا بحيث لم يصدر منه إلا الحسنات، ومع ذلك كان يدعو الله تعالى رب إنّ كل ما جنيتُ على نفسي فهو أمامك. ثم قال:) يا عظيمُ تُرجَى لكل عظيم، فاغفرْ الذنبَ العظيمَ. قالت عائشة رضي الله عنها: فرفعَ النبي ﷺ رأسَه، فرآني فقال لي: «ما أَخْرَجَك؟» (أي كنت نائمة فلماذا خرجتِ؟) قالت: ظنٌ ظننتُه، (أي ظننتُ أنك ربما ذهبتَ إلى زوجة أخرى) فقال ﷺ: «إن بعض الظن إثم. استغفري اللهَ. (أي هل شككتِ فيَّ أني ذهبت إلى زوجة أخرى. إن هذا إثم. إن بعض الظنون يصبح إثما، فاستغفري الله. فمن الضروري أن يستغفر المرء ربه في كل شيء لكي يحفظه من سوء الظن. ثم قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها:) إن جبريل أتاني، فأمرني أن أقول هذه الكلمات التي سمعتِ، فقوليها في سجودك؛ فإنه مَن قالها لم يرفع رأسه حتى يُغفَرْ له.

علمًا بأن هذا مشروط بأن يكون الإنسان مؤمنا بالله إيمانا كاملا، وموقنا بالله يقينا كاملا، وأن يفعل الحسنات الأخرى أيضا. وإنما قال النبي ﷺ هذا لعائشة رضي الله عنها لعِلمه أنها تعمل الخيرات الأخرى أيضا، فليس المراد من هذا أنه يكفي المرء هذا الدعاء وحده لغفران ذنوبه وإن لم يعمل الحسنات الأخرى.

وقد وردت هذه القصة بتفصيل أكثر في رواية في صحيح مسلم. قالت عائشة رضي الله عنها: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ (إلى البيت) فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا (أي أغلقه بهدوء) فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ (أي رجعَ) فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ (أي جرى) فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ فَقَالَ: "مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً" (أي ما لك مرتفعة النفَس. كانت أسرعت في سيرها فصارت أنفاسها عاليةً، فسمِعها النبي ﷺ وأدرك الأمرَ)؟ قَالَتْ قُلْتُ: لَا شَيْءَ (قالت هذا تنصُّلاً من الإجابة). قَالَ: "لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ". قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: "فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟".

قلت: نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله»، قالت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله، (إن الله يعلمه يقينا وسيُظهره على النبي ﷺ، لذا أخبرتُه بنفسي ما كان في قلبي) قال ﷺ: «فإن جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني فأخفاه منك، فأجبتُه فأخفيته منك، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وظننتُ أنك قد رقدتِ، وكرهتُ أن أوقظك، (قال أيضًا إذا كنتُ أخبرتك لشعرتِ بالوحدة) وخشيتُ أن تستوحشي، فَقَالَ (أي قال جبريل لرسول الله ﷺ): إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ»، (قالت عائشة: كنتُ أيضا أستطيع أن أشاركك في هذا الخير) قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله (أيْ كيف أدعو لهم، إنك قد دعوتَ لهم، وأنا أيضًا قد أتيتُ من هناك فكيف أدعو

لهم)؟ قال ﷺ: "قولي السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ". (صحيح ابن حبان) هذا الدعاء علمه النبي ﷺ.

كذلك هناك رواية عن حب النبي ﷺ لله تعالى عن عطاء قال: دخلت مع عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة ﵂، فقال ابن عمر: حدّثِينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت بكاء شديدا، ثم قالت: كل أمره كان عجبا، أتاني ذات ليلة، وقد دخلت فراشي، فدخل معي حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: "يا عائشة ائذني لي أتعبد لربي عز وجل". قالت: قلت: يا رسول الله، إني لأحب قربك وأحب هواك، (أي أحب قربك وأحترم رغباتك وأحب أن تتحقق أمنياتك جميعا، فإذا كنت تريد أن تعبد الله فافعل) قالت: فقام إلى قربة في البيت، فتوضأ منها، (لم يصب كثيرا من الماء ثم قام) ثم قرأ القرآن، ثم بكى حتى ظننتُ أن دموعه بلغت حبوته[1]، ثم اضطجع على يمينه، وجعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، ثم بكى حتى ظننت أن دموعه قد بلغت الأرض، ثم جاءه بلال (ليخبره بموعد صلاة الفجر)، فلمّا رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".

كنتُ قد ذكرتُ واقعة للشكر في الخطبة الماضية، وفي هذه الرواية وردت بعض التفاصيل الأخرى.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ ﷺ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ. فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ (لأنني لا أعلم الغيب) وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾". (البخاري) كما ورد في القرآن الكريم. لذا لا أدري ماذا في هذا الغيم لذا إن قلبي يخشى خوفا من الله وحبا له.

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَت السَّمَاءُ[2] تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ (بشكل طبيعي) سُرِّيَ عَنْهُ، فَسَأَلْتُهُ عن سبب ذلك، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ وفق آية سورة الأحقاف: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾. ولكنه كان عذابا لهم". (مسلم)

ثم هناك رواية عن أبي هريرة ﵁ قال: كان النبي ﷺ وأصحابه يكشفون رؤوسهم لأول قطرات المطر، وأن النبي ﷺ كان يقول: إن هذا نعمة جديدة من ربنا وهي أكثر بركة. كان يقول ذلك عندما كان يرى أن المطر نزل بشكل طبيعي.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بن العاص عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا

---

[1] الحبوة: أسفل البطن. "دموعه بلغت حبوته": كناية عن البكاء الشديد

[2] تخيلت السماء : تهيأت للمطر، فأغامت ورعدت وبرقت

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾. (البخاري) أيْ إنما هو ﷺ مشغوف بحب الله تعالى ويعبده وأنتم تسعون لمقتله.

كانت حياة النبي ﷺ كلها مليئة بحب الله تعالى، وعندما كان أهل مكة يرون مشاهد هذا الحب الإلهي كانوا يقولون: "إن محمدًا عشق ربه"، يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد أحب النبي ﷺ ذاتًا واحدةً واستهام بها عشقًا فنال ما لم ينله أحد في العالم. فكان ﷺ يحب الله ﷻ لدرجة أن قال العامة "عشق محمد على ربه".

قال المسيح الموعود عليه السلام في موضع: "إن الصحابة رضي الله عنهم رأوا وجه ذلك الرجل الصادق الذي شهد عفويا بعشقِهِ ربَّه كفارُ قريش أيضًا، فقالوا: "عشِق محمدٌ على ربّه"، وذلك حين رأوا مناجاته كل يوم وسجداته الزاخرة بالحب وفنائه في الطاعة وكمال حبه، وشاهدوا الأمارات الجليّة لتعلُّق قلبه بالله تعالى ونزول نور الله على وجهه الطاهر. فقالوا: عشق محمد ربه. ولم ير الصحابة ذلك الصدق والحب والإخلاص فقط بل شاهدوا أيضا- مقابل الحب الذي كان يموج في قلب سيدنا محمد ﷺ كالبحر الزخار- حبَّ الله له أيضا بصورة التأييدات الخارقة للعادة. عندها علموا على وجه اليقين أن الله موجود فعلا، وصدر من قلوبهم صوت عفوي أن الله مع هذا البطل. لقد رأوا العجائب الإلهية والآيات السماوية بكثرة حتى لم يبق مجال للشك في أن هناك ذاتًا عُليا موجودة فعلا اسمها "الله"، الذي في يده كل أمرٍ ولا مستحيل عنده. فقاموا بأعمال الصدق والصفاء وقدموا تضحيات لا يسع الإنسان تقديمها أبدا ما لم تزُل جميع شكوكه وشبهاته. وقد رأوا بأم أعينهم أن تلك الذات المقدسة لا ترضى إلا أن ينضم الإنسانُ إلى الإسلام ويتبع رسوله الكريم قلبا وروحا. وما أبدَوا- بعد وصولهم إلى حق اليقين- من الاتباع وما كسبوا من أعمال الطاعة بحماس متزايد وكيفية إلقائهم أنفسهم على عتبات هاديهم المصطفى ﷺ إنما هي أمور لا يمكن أن تتأتّى لأحد ما لم يكن قد جرّبها بنفسه".

عن علي رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن سنته (أي ما هي جوانب حياتك وما هي الأساليب التي عليها مدار حياتك) فقال ﷺ: "المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي (أي قد أعطاني الله العقل وأستخدمه في سبيل حب الله تعالى سالكا المسالك التي بيّنها ﷻ، فهذا هو أصل ديني وأساسه، وإن حب الله هو أساس حياتي وأصلها)... والشوق مركبي (أي الرغبة العارمة في التقدم في سبيل الله هو مركبي، وأنا أتقدم إلى الأمام باستمرار راكبا إياه وأقوم بالمجاهدة) وذكر الله أنيسي. (أي إن رفيقي وصديقي الذي يطمئنني إنما هو ذكر الله والدعاء حصرا) والثقة كنزي. (أي إنني أتوكل على الله وأثق به وحده وهذا هو كنزي. فما دمتَ سألتني عن طريقي فاعْلمْ أن والحزن رفيقي. أي كلما يصيبني حزنٌ، أو همٌّ فإنهما رفيقان لحياتي ولا أبالي بهما لأن الله تعالى معي). ثم قال ﷺ: "والعلم سلاحي (أي قد أمر الله تعالى بالتعلُّم لأن العلم يصقل الذهن، وينال الإنسان مزيدا من معرفة الله تعالى. وإن الله تعالى هو الذي يعلّمني، وأيُّ

سلاح أفضل من علم يأتي من الله تعالى! فقال ﷺ: هذا هو سلاحي الذي بسببه أنال التقدم باستمرار. وقد رأيتم في مجال العلم الدنيوي أيضا- كما ذكرتُ في خطبي السابقة في سياق أحداث وقعت في أثناء الحروب- كيف أعطاه الله تعالى العلم الذي بسببه كان ﷺ يقوم بأفضل أنواع التخطيط. كذلك كان ﷺ يملك من العلوم الروحانية أيضا ما لا حصر لها، كما هو واضح للجميع) ثم قال ﷺ: "والصبر ردائي (ولباسي) والرضاء غنيمتي، (أي أرضى دائما برضا الله تعالى وهذه هي غنيمتي) والعجز فخري (أي إن الفقر الظاهري هو فخري، وإنني فخور بأن الله تعالى أكرمني كثيرا على الرغم من الفقر الظاهري). والزهد حِرفتي (وإن الزهد والتقوى حِرفتي وأسعى دائما للحصول عليهما) واليقين قوتي. (أي إنني أوقن بالله تعالى يقينا كاملا وبه أنال القوة) والصدق شفيعي. (أي لم أكذب قط بل الصدق وسيلة شفاعتي) والطاعة حسبي. (أي إنني أعمل بأوامر الله تعالى كلها بطاعة كاملة) والجهاد خُلقي. (سواء أكان جهادا ماديا أو جهادا روحانيا في سبيل الله أو كان الجهاد بأداء حقوق خَلق الله) وقرة عيني في الصلاة. (أي نوال قرب الله تعالى وعبادته وإظهار حبه ﷻ)". وقال ﷺ في حديث آخر: "ثمرة فؤادي .. وشوقي إلى ربي ﷻ".

هذه بعض الأمثلة لقدوة النبي ﷺ، ونموذج حبه لله تعالى. كان لهذا النموذج تأثير كبير في الصحابة حتى أحدث فيهم ثورة، فبلغوا مرتبة ما كان لأحد أن يتصورها من قبل، كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وقد ذكرته سابقا أيضا. فهذا هو التعليم الكامل والتام الذي تبناه خادمه الصادق سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أيضا. فيقول عليه السلام في أحد المواضع: "لقد أنزل الله تعالى عليّ أفضاله بسبب اتباع النبي ﷺ الكامل". وقال عليه السلام أيضا:

"ذات مرة أُلهمتُ في الرؤيا جملتين بنجابيتين، إحداهما: "جے تُوں میرا ہور ہیں سب جگ تیرا ہو" أي: لو صرتَ لي لصار العالم كله لك.

ورأيت في المرة الأخرى أن هناك ميدانًا واسعًا فيه مجذوب (أي مَن يتحلى بمحبة الله) يتقدم إليّ، ولما وصلت إليه قرأ بيتا: "عشق الٰہی مُنہ پر وسّے ولیاں ایہہ نشانی"، أي: إن حُبَّ الله بادٍ في وجوههم، هذه هي علامة أولياء الله تعالى. والمقصود من هذه الرؤيا أنه قال لي هذا عندما رآني لأنه رأى المحبة الإلهية والنور".

وقال عليه السلام في موضع آخر: "كل ما حصلتُ عليه، إنما كان نتيجة اتباع النبي ﷺ".

فهذه كانت قدوته عليه السلام، ولذلك أسس الجماعة. أما اليوم فعندما ندّعي أننا مؤمنون حقيقيون بالنبي ﷺ، وأننا بايعنا خادمه الصادق وجدّدنا عهدنا ووعدنا بأننا سنحاول في المستقبل جعْل حياتنا تابعة لأوامر الله تعالى، يجب علينا أن ننتبه إلى أنه يجب علينا القيام بكل عمل خالصا لوجه الله تعالى، والسعي للتقدم في حبّه ﷻ.

وإذا فعلنا ذلك، حينها فقط سنرث أفضال الله تعالى، وسنؤدي حق كوننا من أمة النبي ﷺ بشكل صحيح، وسنؤدي حق بيعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وسنُعَدّ من أتباعه الحقيقيين. وفّقنا الله لذلك.

أُدعوا في هذه الأيام للأحمديين في باكستان. كانت هنالك قضية مرفوعة ضد السيد مبارك ثاني المحترم، حكم عليه قاضي المحافظة منذ يومين بالسجن المؤبد. التهمة الموجهة إليه هي أنه كان يحتفظ عنده بالقرآن الكريم وكان يقرؤه ويعلّمه الآخرين. هذا هو حال المحاكم الآن! أيّ خير يمكن أن نتوقعه منهم؟

ولقد كتب حتى غير الأحمديين عن هذا الحكم قائلين: ما أشد هزلية هذا القرار! مع أن بعض المشايخ يمدحون هذا القرار مدحًا كبيرًا، ويثنون على القاضي ثناءً عظيمًا، إلا أن بعض الكتّاب المحبين للعدل يكتبون عكس ذلك، وبعضهم كتب بسخرية: جريمة كبرى جدًّا أن المحكوم عليه يقرأ القرآن الكريم، ويحتفظ به في بيته، ويعلّمه الأولاد. هذا هو حال هؤلاء العلماء المزعومين وأتباعهم. وإن الحكومة وإدارتها تسير خلف هؤلاء المشايخ وتعمل بحسب هواهم. على كل حال، ندعو الله تعالى أن يعجّل بأخذهم ومعاقبتهم. سيحل بطشه بهم قريبًا إن شاء الله، وتظهر بوادره بالفعل، لكن ينبغي أن نقلق من أن يتأخر ذلك بسبب تقصيرنا في الدعاء أو ضعف أعمالنا أو عدم أداء العبادة بحقّها، كما كان النبي ﷺ يدعو خوفًا من ذلك عندما يرى السحاب أحيانًا. إذن، يجب أن نولي الدعاء اهتمامًا كبيرًا. وكذلك ندعو لجميع المظلومين في العالم، نسأل الله تعالى أن يمنح السلام للجميع في كل مكان، وأن يحفظهم من كل فتنة وفساد.

بعد الصلاة، سأصلي صلاة الغائب على مرحومَين اثنين. الأول هو مولانا جلال الدين نيّر، الذي كان رئيسًا سابقًا لمؤسسة صدر أنجمن أحمدية ورئيسًا لمجلس التحريك الجديد في قاديان، والذي توفي في الأيام الماضية، إنا لله وإنا إليه راجعون.

والده السيد ح. حسين كان يعمل كاتبًا في الجيش خلال الحرب العالمية، وفي عام ١٩٢٢م قَبِلَ الأحمدية في البصرة، ثم عُيّن محررًا لمجلة الجماعة "ستيا دوتن" التي كانت تصدر من كيرالا، حيث كان من سكان كيرالا، وبعد الجيش عاد إلى هناك. في عام ١٩٥٠م، استجاب والده السيد ح. حسين صاحب لنداء المصلح الموعود رضي الله عنه بالانتقال إلى قاديان لإعمارها، فانتقل بأسرته الكاملة إلى قاديان واستقر هناك، لكنه توفي هناك خلال عام واحد. تزوجت والدة مولانا جلال الدين نيّر السيدة زبيدة سلطانة مرة ثانية من تشودري عبد الحق الذي كان أحد الدراويش، فتكفّل بتربية إخوة السيد نيّر وأخواته. تلقى مولانا جلال الدين نيّر تعليمه الابتدائي في قاديان، ثم اجتاز امتحان "المولوي الفاضل" عام ١٩٦٣م.

ثم عُيّن في مؤسسة صدر أنجمن مفتشًا لبيت المال، فخدم لمدة طويلة، كان يقوم فيها بالجولات في فروع الجماعة بالهند كلها، وبفضل جهده الشاق ومحبته العميقة، أدخل أفراد الجماعة في نظام التبرعات، ولهذا السبب صارت له علاقات شخصية مع أفراد الجماعة في طول الهند وعرضها. لقد وفق المرحوم لخدمة الجماعة لمدة ثلاث وستين سنة. وفي هذه المدة، خدم كمدقق الحسابات بعد أن كان مفتشا لبيت المال قسم الإيرادات، ثم وفق للخدمة لفترة طويلة بصفته ناظرًا لبيت المال قسم الإيرادات. وكما ذكرت سابقًا، أنه ظلّ رئيسًا لمؤسسة صدر أنجمن قاديان لسبع سنوات، ثم بقي رئيسًا لمجلس التحريك الجديد طالما كانت

صحته تسمح بذلك. كذلك وُفق للخدمة في المنظمات الفرعية أيضا. كان عابدًا ملتزمًا بالصوم والصلاة، ومن أوائل الممتثلين لكل أمر من الخلافة. كان رياضيًا ولاعبًا، وقد نظّم هناك كثيرًا من الأمور في هذا المجال أيضا.

كان المرحوم قد تزوج في عائلة كشميرية، وتوفيت زوجته قبله. وله ابنان وابنة واحدة، وهم يخدمون الجماعة. نسأل الله تعالى أن يعامل المرحوم بالمغفرة والرحمة.

المرحوم الثاني هو السيد مير حبيب أحمد، ابن السيد مير مشتاق أحمد الذي توفي في الأيام الأخيرة عن عمر يناهز إحدى وثمانين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان شخصًا شفوقًا لطيفًا، ومخلصًا للخلافة، وبفضل الله تعالى كان موصيًا أيضًا. دخلت الأحمدية عائلته عن طريق جده السيد باو عبد الرحيم، الذي بايع عام ١٩٠٣م بواسطة السيد مير قاسم علي ﷺ، محرر مجلة "الفاروق". كان مير قاسم علي صاحب ﷺ قد تبنى السيد مشتاق أحمد والد السيد مير حبيب، لأنه لم يكن له أولاد. أكمل السيد مير حبيب ثانويته في الكلية الحكومية بلاهور، ثم حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم، وبعد ذلك على الماجستير في الفيزياء. ثم سافر خارج البلاد.

أما خدماته للجماعة فهي أنه بدأ خدمته في مجال التعليم كمدرس في كلية تعليم الإسلام من عام ١٩٧٠م إلى ١٩٧١م، وما كانت الكلية حينئذ قد أُمّتْ بعد. ثم من عام ١٩٧٣م إلى ١٩٧٦م ذهب إلى سيراليون تحت برنامج مشروع نصرت جهان، حيث وفق للخدمة كأستاذ للفيزياء في فريتاون. ثم عاد إلى باكستان عام ١٩٧٦م. ثم في عام ١٩٧٦م نفسه رجع إلى نيجيريا، وعمل هناك في مدرسة حكومية حتى عام ١٩٨٧م، وفي العام نفسه ١٩٨٧م، وهو مقيم في أفريقيا، وقف حياته. وفي عام ١٩٨٧م عيّنه الخليفة الرابع رحمه الله مديرًا للثانوية الأحمدية في همرشا حيث وفق للخدمة حتى عام ١٩٩١م. ثم بعد ذلك عاد إلى باكستان، واستمر في خدمة الجماعة بعد العودة أيضا. وفي عام ١٩٩٢م أرسله الخليفة الرابع رحمه الله إلى سيراليون لتقييم معهد فني، وبناءً على تقريره ورأيه الخبير، تم إنجاز بعض الأعمال هناك. في عام ١٩٩٦م عُيّن تحت إشراف نظارة التعليم في أكاديمية نصرت جهان بربوة، وظلّ يدرّس الفيزياء هناك حتى تقاعده. كذلك عمل في مكتب "الصدر العمومي"، وتطوّع في اللجنة الإصلاحية العمومية.

تكتب زوجته: كان زوجي ملتزمًا جدًّا بالصوم والصلاة، وكان لطيف الطباع جدًّا. لم يطلب شيئًا قط، ولكن لكونه شغوفًا بالقراءة، ومحبًّا للعلم، إذا طلب شيئا، أو إذا سأله أحد عن هدية يريدها، كان يقول فقط: أحضروا لي كتبًا، وكان يقرأ الكتب العلمية، وكذلك كان يكثر من مطالعة كتب المسيح الموعود عليه السلام. لم يتكلم خلاف الحقيقة أبدًا؛ وإذا أراد ألا يخبر عن شيء كان يلتزم الصمت، إلا أنه لم يكن يقول كلامًا خاطئًا.

ذكرت ابنته الصفات نفسها. وأنا أيضًا رأيته؛ كان إنسانًا شريف النفس جدًّا، يُعنى بشأنه الخاص، وكان وفيًّا لوقفه بكل معنى الكلمة. نسأل الله تعالى أن يعامل المرحوم بالمغفرة والرحمة.

تزوّج من السيدة لُبنى حفيدة السيد مير محمد إسحاق، وهي ابنة الرائد سعيد أحمد.

ونعرف جميعًا أن حضرة مير محمد إسحاق كان ابن حضرة مير ناصر نواب، وهو معروف في الجماعة. وترجمته لمعاني القرآن الكريم متداولة في الجماعة. على كل حال، نسأل الله تعالى أن يعامل المرحوم بالمغفرة والرحمة. آمين.

*****